الإنتاج في الأسرة وآثاره على المجتمع

أ.د. مهني محمد

إبراهيم غنايم

كلية التربية – جامعة المنصورة – مصر

فى موسوعة الأسرة، الجزء الرابع (الباب السادس–الفصل الرابع) الديوان الأميرى،دولة الكويت برعاية مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ،الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ–٢٠٠٧ م

مقدمة

يعتبر الإنتاج أحد أهم مقومات عملية التنمية الشاملة بشكل عام ، والتنمية البشرية حلقة هامة من حلقات التنمية الشاملة ، بل هي (اى التنمية البشرية) سبب ونتيجة فى نفس الوقت للتنمية الشاملة فى المجتمع .

وتقوم التنمية البشرية على الإنسان بواسطة الإنسان أيضا ، لذلك فهي عملية إنسانية بالدرجة الأولى ، وهى عملية مستمرة باستمرار حياة الإنسان كما أنها عملية مقصودة ذات أهداف محددة ، وهدفها الاساسى هو ترقى الإنسان حيث أنها تعنى بكل جوانب حياة الإنسان اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ... الخ .

ويعتبر البعد المادي فى عملية التنمية البشرية (الإنتاج) واحدا من أهم عملياتها ، إذ بالإنتاج المادي تستقيم حياة المجتمعات هذا إضافة إلى الإنتاج غير المادي لما له من دور عظيم فى تقدم المجتمعات ورقيها .

والأسرة وهى الخلية الأولى واللبنة الأهم فى بناء المجتمع صاحبة وظائف اقتصادية عديدة تعتمد على الإنتاج الذي يدعم التنمية الشاملة فى المجتمع .

ومن ثم فالإنتاج فى الأسرة له دور كبير وآثار ايجابية عديدة على المجتمع ويمكن تناول هذه القضية من خلال المحاور التالية :

- قيم الإنتاج بين الرشد والتطرف
- الإنتاج والطابع الثقافي للأسرة
- إنتاج الأسرة وآثاره الاقتصادية والاجتماعية

أولا : قيم الإنتاج بين الرشد والتطرف :

شاعت بين علماء الاقتصاد الوضعيين أفكار ومبادئ ونظريات تشير إلى أن الاقتصاد علم تجريدي يعتمد على فلسفات نظرية وقيم مادية ليست لها علاقة بالدين والقيم والأخلاق ، وتحكم سلوك المستهلك (فى الاستثمار والإنتاج والاستهلاك) مجموعة من الأسس والقواعد والنظريات التجريدية .

والمستقرئ لقيم ومبادئ ونظريات الاقتصاد الاسلامى ، يجد أن الفكر الاقتصادي الاسلامى على العكس من نظريات الاقتصاد الوضعية حيث أن الاقتصاد الاسلامى يؤكد على الجوانب الإيمانية والأخلاقية والقيم السلوكية فى عمليات الإنتاج والاستهلاك وهما قوام الاقتصاد .

وهناك القيم الإيمانية التى تحكم عقيدة المسلم وتمثل السلوك الذي يحكم علاقة الإنسان بالقيم الأخلاقية التى ترافق الإنسان فى كل أعماله وتصرفاته مع الناس .

وهناك القيم السلوكية المرتبطة بعلاقة الإنسان مع الغير فى المواقف المختلفة وهى مستمدة من القيم الإيمانية والأخلاقية .

وما من شك فى أن كل هذه القيم ذات اثر كبير فى السلوك الانتاجى للمسلم حيث أن الغاية الأساسية من الإنتاج هي توفير الاحتياجات الأساسية للمجتمع لتحقيق الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى . وليس الإنتاج بالكم والكيف الذي يدمر الإنسانية (التطرف) بينما العبرة بتعظيم الإنتاج كما وكيفا بما يقيم حياة المجتمعات على أساس من الأمن والطمأنينة والتعاون والتواد والتراحم (الرشد) .

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

والإنتاج هو ناتج تكامل وتفاعل عنصر رأس المال وأشكاله المختلفة من ارض ومعدات وخامات وعناصر العمل من رأس المال والإدارة والتخطيط والتنظيم ... الخ

وإذا كانت الأسرة على يقين من القيم الإيمانية والأخلاقية والسلوكية مع مقومات الإنتاج وعناصر العمل ، زاد كم الإنتاج وتحسنت نوعيته ، وزادت القدرة التنافسية للمنتج داخل الوطن وخارجه ، وهكذا يعود الإنتاج بالنفع والخير على أبناء المجتمع وتدعيم المركز السياسي للدولة فى موازين العلاقات الدولية هذا علاوة على مرضاة الله ورسوله وتعمير الارض بما ينفع الناس .

ثانيا : الإنتاج والطابع الثقافي للأسرة :

الثقافة سلوك مكتسب متعلم يمكن أن يمتلكه الإنسان نتيجة وجوده فى جماعة لها مثلها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها . ومن ثم كانت أهمية وجود الفرد فى جماعة وتشربه قيم الجماعات وعاداتها وتقاليدها .

و لما كانت عملية التطبيع الاجتماعي هامة فى انتقال الطفل من المرحلة البيولوجية إلى المرحلة السلوكية ، فالأسرة بطابعها الثقافي لها الدور الأكبر فى عملية التطبيع الاجتماعي بحيث يتمثل الفرد قيم الأسرة وسلوكياتها وطابعها الثقافي .

والطابع الثقافي للأسرة ناتج عن قيمها الثقافية سواء كانت الأسرة فى مجتمع زراعي ، او مجتمع صناعي ، او مجتمع رعوي قبلي ، ومن الطبيعي أن يختلف الطابع الثقافي لكل من هذه الأسر فى تلك المجتمعات

الثلاثة . وسوف يختلف شكل الإنتاج (من حيث الكم والكيف) وفقا للطابع الثقافي للأسرة ، وذلك لاختلاف مدخلات ومقومات العملية الإنتاجية من رأس المال (المادي والبشرى) والإدارة والتخطيط والتنظيم ... الخ

وهناك عامل هام فى عملية الإنتاج فيما يتعلق بالطابع الثقافي للأسرة تشترك فيه كل الأسر مهما كان طابعها الثقافي وهو عنصر الاعتماد على الذات ، وفى سيرة المصطفى (ص) نجد القدوة الحسنة فيما كان عليه الصلاة والسلام "يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم" كما كان عليه الصلاة والسلام "يذبح أضحيته بيده" .

وفى هذا ما يشير إلى تقدير العمل اليدوي واحترامه وتقديره وأهميته فى الإنتاج فى حياة الأسرة والمجتمع .

ومن قيم الإنتاج أيضا مراعاة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة للتوفيق بين الدوافع الفردية ومصلحة الجماعة بحيث لا تكون العلاقة علاقة صراع كما فى الغرب الذي انقلبت فيه الدوافع الفطرية إلى أنانية وتكالب على المادة حتى ولو كان لصالح الفرد وإشباع رغباته الفردية على حساب الأمة والجماعة .

وعلى كل أسرة أن تضع فى اعتبارها كم الإنتاج ونوعيته بما يتفق مع طابعها الثقافي وإمكانياتها وعناصر العمل وأدوات الإنتاج فيها سواء كانت زراعية او صناعية او رعوية قبلية . كما ان عملية التكامل هامة وضرورية للمجتمع فيما تنتجه كل أسرة من هذه الأسر بلا تشاحن ولا تطاحن ولا مشكلات ، حيث أن كم الإنتاج وكيفه يصب كله فى النهاية فى الميزان الاقتصادي للمجتمع الكبير (الدولة) .

وهناك من المبادئ الدينية والأخلاق الإسلامية ما يعين الأسرة . أيا كان طابعها الثقافي . على حسن الإنتاج ومزيد منه ، من أهم هذه المبادئ ما يلي :

- تحريم الفائدة للقضاء على التناقض بين النشاط الاقتصادي العيني والنشاط الاقتصادي النقدي ، وتوجيه الأموال ناحية النشاط الاقتصادي الحقيقي من زراعة وصناعة وتجارة ، لتحقيق المقصد الشرعي من تنمية الإنتاج والتنمية الشاملة للمجتمع .
- تحريم الاكتناز النقدي وفرض الزكاة عليه دفعا للأموال إلى مجال الإنتاج وتعمير الكون .
- تشريع التكافل الاجتماعي ودفع الأفراد إلى النشاط الانتاجى .
- تشريع العديد من صيغ التمويل التى توفر احتياجات المشروعات الإنتاجية المالية حتى يمكن تسهيل قيام المشروعات واستمرارها .
- النهى عن الإنتاج غير المفيد الذي يدمر حياة الناس ولا يعمرها .
- التنافس الحر الشريف فى عمليات الإنتاج لتحسين جودة المنتجات وتوفيرها لأبناء المجتمع
- تشجيع الاستثمار الانتاجى .

ثالثا : إنتاج الأسرة وآثاره الاقتصادية الاجتماعية :

حيث أن الأسرة هي اللبنة الأولى فى البناء الاجتماعي ، فالإنتاج الأسرى عماد الاقتصاد فى المجتمع ، والأصل أن يكفى الإنسان نفسه بنفسه دون أن يكون عالة على الآخرين ، ولا يستعين بالغير . إلا عندما تعجزه كل سبل الكسب ، فلا مبرر للتقاعس عن طلب الرزق .

وإنتاج الأسرة مدخل هام لزيادة الدخول والثروات من خلال العمل والجد والاجتهاد . وقد حظيت كلمة العمل ومشتقاتها بمئات الآيات من الذكر الحكيم وجاءت مقرونة بالعلم والصلاح اللازمين لحسن العمل ، كما أن الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد وتدعم العمل والكسب وتحبب فيه وتحث عليه لما له من قيمة كبرى فى زيادة الإنتاج الذي يؤثر بدوره فى نمو الاقتصاد الوطني .

والإنتاج بين أفراد الأسرة يعنى محاربة البطالة وزيادة الدخل ورفع مستوى المعيشة وكل هذا يؤدى إلى التنمية البشرية التى تقود المجتمع إلى التقدم والازدهار .

وإنتاج الأسرة وهو مصدر هام لزيادة الدخل والثروة بما يكفى لحاجتها ، وما يزيد هو خير لمصلحة الجماعة والوطن والأمة تنفق منه الأسرة فيما احل الله لذوى الحاجة من المعوزين والضعفاء بما يقيم التواد والتراحم بين أبناء المجتمع الواحد ، كما أن وفرة إنتاج الأسرة يعود بآثار اجتماعية اقتصادية عديدة تظهر فيما يلي :

- إشباع الاحتياجات الأساسية للأسرة والمجتمع
- الاستغناء عن الغير والاعتماد على النفس
- ضمان مستوى معيشي انسانى ينسجم مع كرامة الإنسان المتأصلة فى كونه خليفة الله فى الارض
- مصدر رزق شريف للأسرة وللمجتمع
- النمو الاقتصادي والازدهار والاستقرار
- تعمير الارض بما ينفع الناس ويحقق مصادر الشريعة
- تلبية مطالب اللوازم الخمس لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وهى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

وخلاصة القول فى الإنتاج الذي تقوم به الأسرة وآثاره على المجتمع ، أن الإنتاج الأسرى هو اللبنة الأولى فى الإنتاج الوطني ، حيث أن مجموع ما تنتجه الأسرة . أيا كان طابعها الثقافي ، زراعي ، صناعي ، رعوي قبلي . يشكل وزنا نسبيا كبيرا مما تنتجه المصانع والمزارع ومؤسسات الإنتاج مكتملة ، ويعود بالنفع عليها وعلى المجتمع بشكل عام . وكذلك فإن مراعاة القيم الإيمانية والأخلاقية السلوك الانتاجى كما يحدده لنا الإسلام الحنيف تعد عملية فى غاية الأهمية فى دفع مسيرة الإنتاج وتعظيمه ابتغاء مرضاة الله ولتعمير الارض وليس لتدميرها . ومبادئ الإسلام العظيم فى السلوك الانتاجى تشير إلى أهمية انتفاع المجتمع بما ينتجه . وتحريم

الزراعات الضارة ، والمواد السامة ، والأسلحة الفتاكة أي المنتجات التى تضر بالدين وتذهب عقل المسلم وتدمر حياته.

والجودة فى الإنتاج مقصد اسلامى شرعي يتضمن الإحسان والتجويد للمنتج بما يحقق وظيفته على الوجه الأكمل من حيث الخامة والصورة والشكل والغلاف والتناسق ... الخ

ولقد قدم الإسلام من القيم والمبادئ ما يجعل المسلم حريصا على إجادة الإنتاج وتعظيمه ، حيث جعل الإنتاج طاعة وعبادة على أحسن ما تكون والمسلم عليه أن يستشعر أن ما يقدمه من منتجات يؤثر بالضرورة فى حياة المجتمع بكل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية بما يرفع من شأن الإسلام والمسلمين .

وأخيرا ، ولما كان الإنتاج الأسرى له دور كبير وأثار هامة على المجتمع ، وحيث أن الإنتاج يتأثر بالسلوك الاقتصادي للفرد فى مجمله ، فإن هناك بعض العادات والقيم المرتبطة بالوعي (الانتاجى . الاستهلاكي) السليم يجب تنميتها من خلال مؤسسات التربية والتعليم والثقافة والإعلام ، كل فى مجاله ، من أهمها ما يلي :

- تربية النشئ منذ الصغر على قيم الإنتاج والإنفاق فى دروب الخير
- القدوة من المربين إلى المتعلمين
- تنمية قدرة الأفراد على تنظيم الميزانيات الخاصة بهم
- تقدير قيمة العمل واحترامه فى كل المهن والحرف والصنائع
- تنمية الذوق العام والفهم فى عمليات الإنتاج والاستهلاك والادخار
- تنمية القدرة على التمييز بين الدعاية او الإعلان للسلع المختلفة والمنتجات نظرا للتضخيم من وسائل الإعلام بهدف تسويق المنتجات بصرف النظر عن جودتها وصلاحيتها او مدى الاحتياج لها
- إبراز دور الدين الاسلامى والسلوك الديني فى التعامل مع عمليات (الإنتاج . الاستهلاك . الادخار) مع تقديم أمثلة واقعية لنماذج من السلوك الاسلامى الصحيح .

قائمة المصادر

- حسين حسين شحاتة : اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية،القاهرة،دار التوزيع والنشر الإسلامية،١٩٨٧
- ربيع محمود الروبى : المنهج الاسلامى في الادخار والاستثمار ، في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام،مركز صالح عبد الله كامل ومركز الدراسات المعرفية، القاهرة، جامعة الأزهر، ٢٧-٢٩ يوليو ٢٠٠٢ م
- سعيد عثمان القاضي : التربية الاقتصادية الإسلامية للأبناء في البيت والمدرسة، في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام،مرجع سابق
- شوقي أحمد دنيا : السلوك الاسلامى في الإنتاج بين المثال والواقع، في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام،مرجع سابق
- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : التربية الإسلامية إدارة للتنمية والحفاظ على البيئة .لماذا وكيف ؟ في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية ، مرجع سابق
- عبد الهادي على النجار : فرضية التناغم بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة فى ميزان الشريعة الإسلامية ، ندوة التربية الإسلامية ، مرجع سابق
- الغريب محمد بيومي : التربية الاقتصادية الإسلامية بين الشكل والجوهر ، في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام ، مرجع سابق
- محمد عبد المنعم عفر : المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مقاصد الشريعة في اقتصاد اسلامى ، الطبعة الأولى ، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية (١٠) جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٩١
- محمد عبد العليم مرسى : في الأصول الإسلامية للتربية ، الجزء الأول، الإسكندرية ، المكتبة الجامعية ، ٢٠٠٠
- منى على السالوس : مبادئ التربية الاقتصادية للمستهلك في الإسلام ، في ندوة التربية الاقتصادية ، مرجع سابق
- مهني غنايم (الكاتب) : نماذج وحالات حول التربية الاقتصادية وآثارها في ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام ، مرجع سابق